الثقافة العامية فى التاريخ

كشف البحثُ العلمىُّ عن صلَة اللغة بالإنسان وبيئته، فهى تظهرُ المجتمع الإنسانى على حقيقته، وقد اهتمَّ بموضوع اللُّغة العلماءُ المختصُّون فى العصور الحديثة، كما بحثه الأقدمون فكتبوا فيه على الطريقة التى سلكوها فى علومهم القديمة. على أن نفرًا غيرَ قليلٍ من غير ذوى الاختصاص فى موضوعات اللغة قد بحث فى الموضوعِ نفسه فى خلال دراساتهم، ومن هؤلاء علماءُ الاجتماعِ وعلماءُ النفسِ والفلاسفةُ وآخرون غيرهم، وليس عجيبًا فقد بحثَ الفلاسفةُ الأقدمون فى موضوع اللغة، وكانت اللغةُ موضوعًا فلسفيًّا عندهم.

وللموضوع جوانبُ كثيرةٌ وأبوابٌ متعدِّدةٌ، فاللغةُ أساسُ كلِّ أنواع النشاط الثقافى، «وهى بذلك خيرُ دليلٍ يهتدى به الباحثُ إلى معالم أىٍّ من المجتمعات الحديثة»(١).

ففى كلِّ مجتمع مها كانت طبيعتُه وسَعَتُهُ، تشغلُ اللُّغَةُ مكانًا ذا أهمية أساسية، إذ هى أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع، وهى فى الوقت نفسه رمزٌ إلى حياتهم المشتركة وضمانٌ لها.

فما الأداةُ التى يمكن أن تكونَ أكثرَ كفايةً من اللُّغة فى تأكيدِ خصائص الجماعة؟ فهى فى مرانتِها ويسرِها، وامتلائِها بالظِّلال الدقيقة للمعانى تصلح لاستعمالات

(١) Block and Tauger, Outline of Linguistic Analysis. p.5.

متشعِّبة، وتقف موقف الرابطة التى توحد أعضاء الجماعة، فتكون العلامة التى بها يعرفون والنسب الذى إليه ينتسبون[١].

وليست اللغةُ رابطةً بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، إنما هى عامل مهم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لاً يتأتى إلا بهذه الوسيلة. ومن أجل هذا كان على الباحثين أن يكتبوا تاريخًا واضحًا لكثير من اللُّغات الحديثة، بادئين بأقدم صورة للغة، متعقبين التطوُّرَ التاريخى لها، ولذلك استطعنا أن نقفَ اليومَ على البحوث القيِّمَة فى هذا الموضوع.

ولقد كان لمالينوفسكى العالم الأنثروبولوجى فضلٌ كبيرٌ فى لفت الأنظار إلى مفهوم جديد فى اللغة، فقد أدرك عندما كان يدرسُ بعض المجتمعات التى اصطلح عليها بالمجتمعات (البدائية) أو (الفطرية) أو (الوحشية)، أن دراستَه لن تصحَّ دونَ معرفة الوظيفة التى تقوم بها اللُّغَةُ فى المجتمع، وقرر مالينوفسكى بعد قيامه بهذه الدراسات فى هذه المجتمعات، أن اللغةَ لم تكن وسيلةً فقط للتفاهم والاتصال؛ فهى حلقةٌ فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم، وأنها جزءٌ من السُّلوك الإنسانى وهى ضَرْبٌ من العمل، وليست أداةً عاكسةً للفكر[٢]. وهو يرى أن العملَ الإنسانىَّ هو أصلٌ مختلفُ الظواهر والنظم الاجتماعية، وتبرز نظريتُه فى الصِّلَة بين العمل واللُّغة ويرى أن مواقف العمل هى التى تعملُ فى تنويع اللغة، وهو يسجلُ فى دراسته لمختلف قبائل أستراليا وجزر الهند الغربية أن للصيادين لغةً تختلفُ موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين؛ والألفاظ تدورُ فى سهولة وخِفَّة مع العمل اليسير، وتتعقَّدُ بتعقُّدِ العمل.

ومعلوم أن لكل زمن أو بيئة ذوقًا خاصًا فى استعمال ألفاظ اللغة ويبدو ذلك فى أدب الأمة ولا سيما فى الجانب الشعبى منها، ولا يمكنُ أن نطبِّقَ ما تواضَعَ عليه

---

(١) J.Vendres, Lauguage, p. 210.

(٢) مالينوفسكى B. Malinowski المقدمة التى كتبها لكتاب موضوعه:
(The Meaning of Meaning) p. 312.

الناسُ من أساليب الذَّوْق فى هذا الباب فى زمن معين، على لغة أو لهجةٍ فى زمن آخر أو بيئة أخرى.

ولابد أن نعرضَ لرأيٍ آخرَ فى تفسير موضوع اللغة واجتماعيتها فهذا ابن خلدون يعرضُ فى مقدمته لموضوع العلوم اللسانية فيقولُ فى نشأة لغة الأمصار من اللغة الأولى، وهو على معرفة نفسيَّة بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التى منها اللغة، وإليك قوله: «إن كلاً منهم متوصلٌ بلغته إلى تأدية مقصوده، والإبانة عما فى نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة، وفقدانُ الإعراب ليس بضائرٍ لهم»[1].

ويقولُ أيضًا بعد عرضه لطائفة من فنون الشعر فى هذه الأمصار: «والكثيرُ من المتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصًا علم اللسان يستنكرُ هذه الفنونُ التى لهم إذا سَمِعَها، ويمجُّ نَظْمَهم إذا أنشدوا، ويعتقدُ أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها وهذا إنما أتى من فقدان المَلَكَة فى لغتهم (ويقصد بذلك العلماء) فلو حصلت له مَلَكَةٌ من مَلَكَاتهم (ويقصدُ بذلك الشعوب) لشهد له طبعُه وذوقُه ببلاغتها وإن كان سليمًا من الآفات فى فطرته ونظره، وإلا فالإغراب لا دَخْلَ له فى البلاغة... فالدلالة بحسب ما يصطلحُ عليه أهلُ المَلَكَة، فإذا عرف اصطلاح فى ملكة واشتُهر، صحَّت الدلالةُ وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحَّت البلاغةُ، ولا عبرةَ بقوانين النُّحَاة فى ذلك. وأساليب الشعر، وفنونه موجودة فى أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب فى أواخر الكَلِم، فإن غالبَ كلماتهم موقوفةُ الآخر»[2].

ونريد الآن بعد هذا العرض أن نخلص إلى لغة الناس العامة لنتبين الجو العامى والثقافة العامية، ولعلَّ النصوصَ التى عثرنا عليها على قلَّتها تشيرُ إلى هذا الذى نريد أن نَتَبيَّنَهُ. والنصوص قليلة وقلتها راجعة إلى أن هذه اللغة وهذا الأسلوب، لم ينظرْ إليهما بما يستحقانه من احترام، فقد غلب النظرُ إلى الفصيحة، وأسباب ذلك معروفةٌ سنشيرُ إليها فى هذا الغَرْض التاريخى.

(١) ابن خلدون، المقدمة ص ٤٩٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٥١٣.

كان للحدث القرآنى تأثيرُه العظيمُ فى العربية ودفعها خطوات فسيحةً إلى الأمام، فقد عملت لغةُ التنزيل على توحيد هذه اللغة، ومعلومٌ أن الأمصارَ كانت تقرأُ القرآن قراءات مختلفةً، وسببُ هذا الاختلاف أن لغات الأقاليم قد فعلت فعْلَها فى الموضوعِ، فما كان من عمر بن الخطاب وعثمانَ بن عَفَّانَ إلا أن يعملا على توحيد هذه القراءات ليكونَ المسلمون إجماعًا على لغة واحدة.

فقد منع عمرُ بن عبدَ الله بن مسعود أن يُقرئَ الناسَ بلغته الهُذَلِيَّة حين سمع أحدَهم يقرأ الآية الخامسة والثلاثين من سورة يوسف: «ليسجننه عَتَّى حين» بدلاً من: ﴿حتى حين﴾[1].

ولم يكن شيوعُ اللَّهَجَات العَامِّيَّةُ مختَصًا بعصر دون آخر، أو قل إن مشكلة الفصيح والعامى قائمة فى كل عصر فى التاريخ الإسلامى.

ولا نستطيعُ أن نَعُدَّ شيوعَ اللَّحْن دليلاً على نشوء العامية، فقد عرف اللحن فى أوائل العصر الإسلامىِّ، وقد ظهر على ألسنة الطَّبَقة المثقفة المتعلمة.

ففى الأخبار أن عمر بن الخطاب قد أدب أولادَه بسبب اللَّحْن، وأن عبد الملك ابن مروان كان يُحَذِّرُ أبناءَه من اللَّحْن وأنه فى منطق الشَّريف أقبحُ من آثار الجُدَرِىِّ فى الوجه.

وقد أشار الأصمعىُّ إلى اللحن فى لغة مالك بن أنس (المتوفى سنة ١٧٩هـ)[3]. ومعلوم أن مالكًا هذا يحتلُّ مكانةً عاليةً بين الطبقة المثقفة والذى يرجعُ إليه فى مسائلَ كثيرة، وأحسبُ أن القارئ يعرفُ الشىءَ الكثيرَ عن مالك بن أنس فلا حاجة بنا إلى التعريف به فهو معروفٌ مشهورٌ، ومثل مالك هذا فى اللحن على منزلته ومقامه، أيوبُ السَّخْتِيانىُّ فقد كان يلحنُ حتى فى كتاب الله[4].

---

(١) الزمخشرى، الكشاف (سورة يوسف).

(٢) ياقوت، الإرشاد ١/ ٢٠.

(٣) الصولى، أدب الكاتب ص ١٣٣،

(٤) ياقوت: الإرشاد ١/ ٢٠.

وقد فطن النُّحَاةُ إلى اللَّحْنَ قد عرض لقرَّاء القرآن، فهم يعيبون على نافعٍ مقرئ أهل المدينة أنه قرأ (معائش) بالهمز وكان حقها أن تقرأ بالياء[1].

ولم يكن وضع قواعد النحو بمجد فى التزام القوم بالفصيح وعدم الأخذ باللَّارج، وغرض الواضعين معروفٌ فهو حفظٌ لغة التَّنزيل أن يتسربَ إليها اللَّحنُ والأخذُ باللغات الإقليمية، وقد مر الشعبى (المتوفى سنة ١١٠هـ) على قومٍ من الموالى يتذاكرونَ النَّحْوَ، فقال: «لئن أصلحتموه، إنكم لأوَّلُ من أفسده»[2].

وكان شيوعُ اللَّهَجَات بحيث أن القراءات الشَّاذَّة استمرتْ بالرغم من إلزام الناس بالأخذ بما أجمع عليه المسلمون، وبالرغم من منع أصحاب الأمر القراءات كما مرَّ بنا، فقد عَرَفنا فى القراءات الشَّاذَّة الشىء الكثيرَ من تأثير اللَّهَجات فى قراءات القرآن، وكتب التفسير حافلة بهذه القراءات، فقد ذكر أن أحدهم قرأ على طريقته ولهجته «ولا تقربا هذه الشجرة» بكسر التاء فى الفعل، ثم إن آخر قرأ «ولا تقربا هذه الشِّيرة» بكسر الشين وإبدال الياء بالجيم، وهذه المخالفات للفصيح المعروف معروفة فى اللهجات الإقليمية، وما زال هذا الإبدال حتى يومنا هذا فى كثير من الجهات فى القسم الجنوبى من العراق.

وقد أسلفت أن اللهجات الخاصة قد رافقت الفصيحَ فى سائر عصور العربية ولعل ذلك كان سبب الدعوة القائلة بوجود المشكلة، ولا يحسَبِ القارئُ إن المشكلةَ اللُّغويةَ وما ينتج عنها من مشكلات ثقافية هى وليدةُ عصرنا الحديث فهى قديمة كما عرفنا ذلك بالبحث اللغوى التاريخى، ولكننا نستطيع أن نقولَ: إنها اليومَ أعقدُ مما كانت بالأمس، وذلك لأن المجتمعَ العَرَبِىَّ يواجِهُ حضارةً معقَّدةً تلزمُهُ أن يكونَ مزوَّدًا بآلاتٍ

---

(١) الذهبى، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٢٧.

(٢) المبرد، الكامل ٢/ ٤٠٥ (طبعة البابى الحلبى).

(٣) ابن خالويه، مختصر فى شواذ القرآن (سورة البقرة).

للأخذ بنواحى هذه الحضارة المتعددة الأطراف، ومن هذه الآلات والأدوات مسألةُ اللغة، فلا تغنى لهجةُ اليوم الدارجة، كما أن الفصيحَ لم يَعُدْ اللغةَ التى يَملِكُها الناسُ ويَتَصَرَّفون فى أمرها، ولذلك فالتَّعلُّمُ والتلقينُ واجبٌ.

وقد كنت أُحصى من النصوص العامية فى لَهَجَاتِها ما أقعُ عليه فى هذا البحث التأريخى.

وقد عرفنا أن اللغة العاميَّةَ كانت معروفةً فى أيام العربية الأولى، ولا أريدُ بالعربية الأولى العصور التى سبقت الإسلام وظهور النبوة فتلك حقبٌ لا نعرفُ من أمرها الشيء الواضحَ الذى يمكنُ أن يكونَ أساسًا للبحث.

ومعلومٌ أن العربية بدْعٌ بين اللغات القديمة، ذلك أننا لا نعرفُ عن طفولتها شيئًا نجعله مادةً أصيلةً فى البحث بحيثُ نقيمُ من هذه الركائز بناءً يظهرُ التاريخ اللُّغوى العام لهذه اللغة.

ولكنى أقول: إن العاميَّة عُرِفَتْ فى أيام الخليل بن أحمد وأضرابِهَ من النَّحْويِّين واللغويين، وقد نسب للكسائى النحوى أنه ألف رسالة[1] فى لحن العامة. وقد ذكر صاحب «الأغانى» أن سبب نسبة المغنى المشهور إبراهيم المَوْصلى إلى الموصل أنه كان يغنى متى شرب وهو يروى هذين البتين:

أنا جت من طرف موصل   أحمل قُلَل خمريا

من شارب الملوك فلا   بدَّ من سكريا[2]

وواضحٌ من هذين البيتين أنهما باللسان الدارج الذى كان المَوْصليون يستعملونه. وسمع إبراهيم بن سفيان الزيادىُّ النحوىُّ المتوفى سنة ٢٤٩ هـ مغنيًا يغنى أبياتًا فقال له: لمن هذا الشعرُ أصلحك الله؟ فقال له المغنى: «لى يا سيدى وأنا جوان ابن دستا

---

(١) كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائى ضمن مجموعة تضم ثلاث رسائل بتحقيق عبد العزيز الميمنى سنة ١٣٤٤.

(٢) الأصفهانى، الأغانى، (دار الكتب) ٥/ ١٥٦.

الباهلى سيدى» قال: فقلت: ليس جوان ودست ـ عافاك الله ـ من أسماء العرب. قال: «ايش علبك من ذا يا سيدى» قلت: فردد الصوت. قال: تريدُ «تقشمه» «كنَّك»[1] عقاب أو «كنّى»[2] ما أعرفُك، ما تركت على كَبِد ابن عمى الأصمعى الماء وقد جيت إلى، طارت فراخ برجك طارَتْ»[3].

ولعل كُتُبَ الجاحظ خيرُ مصدر لمعرفة اللُّغَات واللَّهَجَات الخَاصَّة، فقد سجل الجاحظُ نماذجَ من هذه اللهجات، وفطنَ إلى مصطلحات العامة وأصحاب الحِرَف. وحسبُكَ أن تعرفَ أن الجاحظ قد أشار إلى لَغَة الأطفال وكيف أن الطِّفلَ يستخدم ألفاظًا خاصة يطلقها على مدلولات معينة فالطفل يرمز للكلب بلفظ «واوّاو»[4] كما يرمز للشاة بلفظ «ماءما»[5].

كما تحدث الجاحظُ فى «البيان» عن لغات غير العرب من الموالى ممن نزلوا بين العرب وأخذوا لغتهم، ولكنهم مع تعصُّبهم للعربية وحبِّهم لها، وهجراتهم للغاتهم الأولى ظلُّوا يتكلمون هذه العربية بلحونهم المعروفة، فهو يقول: ويستطيعُ الحاكية من الناس أن يحكى نطق الأهوازى والخُرَاسانى والزَّنجى والسِّنْدى حتى تجده كأنه أطبعُ منه[6]. وهو يقول: إن النبطى القُحَّ يجعلُ الزاى سينًا والعين همزة[7]، ويسرفُ الجاحظُ فيروى الحكاياتِ التى تثيرُ الضَّحِكَ والفُكَاهَةَ عن هؤلاء الناس.

والأمثلةُ فى «البيان» كثيرة، ولعل من الطريف أن نذكر إشارة الجاحظ إلى استعمال الدخيل الفارسى فى النصوص وهو الفارسىُّ الذى لم تألَفْهُ العربيةُ من قبلُ، فقد جاء فى شعر الشاعر العُمَانى مادحًا هارون الرشيد:

---

(١) أى كأنك.
(٢) أى كأنى.
(٣) ياقوت، معجم الأدباء ١/ ٦٣.
(٤) الجاحظ، البيان ١/ ٢٩.
(٥) الجاحظ، الحيوان ٥/ ٨٩.
(٦) الجاحظ، البيان ١/ ٣١.
(٧) المصدر السابق ١/ ٣٢.

«آلى يذوقُ الدَّهْرَ آب سَرْد» ومعناه حلف لا يشرب الماء البارد أبدًا[1].

وقد فطن الجاحظُ إلى استعمالات ولَهَجات الطَّبقات الدُّنيا فى المجتمع فى أيامه، فهو يعرضُ للغة المتسوِّلين والمحتالين ولا سيَّمَا ما جاء فى كتاب «البخلاء» من هذا الباب، وسنعرضُ له عند التحدُّث عن موضوع البخلاء.

كما أشار الجاحظُ إلى جماعة من هذه الجماعات التى ارتضتْ لنفسها أن تحيا حياةً خاصةً وهم اللُّصوص وقد كتب فى الموضوع رسالةً أسماها «كتابُ اللصوص» وقد جاء ذكرُ الكتاب فى مظان عدَّة[2]. ومن المفيد أن نذكر أن الجاحظَ لم يكن أوَّلَ من كتب فى اللُّصوص، فقد كتب أبو عبيدة فى الموضوع نفسه، غير أننا نعرفُ أن نزعة الشعوبية عند أبى عبيدة هى التى دفعته إلى الكتابة فى هذا الموضوع للانتقاص من العرب وتعصبًا للفرس.

ولعل هوايةَ الجاحظ فى تسجيل آداب العَوَامِّ ومُلَحِهم وظَرْفهم هى التى دفعته أن يسجلَ حكايات عن الملاحين مع ذكر مصطلحاتهم التى يستعملونها[3]. كما أشار إلى شىءٍ من هذا أبو المطهر الأزدى فى حكاية أبى القاسم[4].

وفى كتاب «المستطرف» شىء من هذه المصطلحات أيضًا[5].

ولابدَّ لى أن آتىَ على كتاب «البخلاء» فأقول فيه شيئًا، فقد حكى الجاحظُ عن زُمْرَة من البخلاء، وكان سبيلهُ أن يُولِّدَ الأحاديثَ على ألسنة هؤلاء، وهو فى هذه الأحاديث يكشفُ عن الأوساط العامِّيَّة التى يَحْيَوْن فيها.

وفى طوق الجاحظ أن يصوِّرَ البيئةَ العاميةَ أو قل يوحى إليك وأنت تقرأُ أحاديثَ

---

(١) الجاحظ، البيان ١/ ٦١.

(٢) الجاحظ «تصنيف حيل لصوص الليل وتفصيل حيل سرّاق النهار» كما ورد ذكر «كتاب اللصوص» فى الحيوان ٢/ ٥٧، ياقوت، إرشاد ٦/ ٧٦. والكتاب من الكتب التى لم تصلنا.

(٣) الجاحظ، البيان ١/ ٢١٢.

(٤) أبو المطهر، حكاية أبى القاسم (Mez) ص ١٠٤.

(٥) الإبشيهى، المستطرف ٢/ ٢٤٥.

البخلاء البيئة الفقيرة الشحيحة، ذلك أن الجاحظَ نفسَهُ قد عاش فى بيئة مُعْدِمَة فقيرة، فلقد شوهد فى أيام طفولته وصباه يبيع الخبز والسمك فى سيحان.

وهو يحاولُ أن يستعيد البيئَة العاميَّة بِمُلَحِها وظَرْفِها وتقاليدها، وهو يشير إلى هذا فى كتاب البخلاء كما نقلنا ذلك فى غير هذا المكان[١].

ولم يقتصرْ على استعمال اللَّحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته، وإنما أوحى بهذا المذهب فقال: «ومتى سمعت ـ حَفِظَكَ الله ـ بنادرة من كلام الإعراب، فإيَّاك أن تحكيَها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فإنك إن غَيَّرْتها بأن تلحنَ فى إعرابها وأخرجتها مخرجَ كلام المُوَلَّدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية، وعليك فضلٌ كبيرٌ. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوامِّ ومُلْحَةَ من ملح الحشوة والطعام، فإياك أن تستعملَ فيها الإعرابَ أو تتخذَ لها لفظًا حسنًا، أو تجعل لها من فيك خرجًا سَرِيًا، فإن ذلك يفسدُ الإمتاع بها ويخرجُها من صورتها، ويذهبُ استطابة الناس لها»[٢].

وأنت تحس حين تقرأ فى «البخلاء» كيف يقضى سوادُ النَّاس سَحَابَةَ يومهم، فهو يقولُ على لسان صاحب الدار المؤجرة، وهو يشكو السَّاكنَ من إتلافه للدار «ويدُقُّ على الأجزاع والحواضِّ والرَّواشن»[٣]. ولا يكتفى الجاحظُ بالجوِّ العَامىِّ للعبارة أو اللَّفظة بل يَتَعَدَّاهُ إلى القَوْل العامى ينقلُه كما هو على ألسنة الناس، وربما جاء بالدخيلِ الأعجمىِّ المستعمل فى لهجاتهم، فقد ذكر: التشريب والرزة والجلَّة والثَّريد والبُوش والهَرِيسة والكُرُنْبِيَّة والفجلية والبالوعة والدوشاب وغير هذا مما هو كثيرٌ فى «البخلاء».

وقال: «فقال لو خرجتَ من جلْدكَ لم أعْرِفْكَ» وترجمة هذا الكلام بالفارسية: «اكراز بوست بارون بيائى نشناستم»[٤].

---

(١) الجاحظ، البخلاء (طبعة الحاجرى) ص ٤٠.

(٢) الجاحظ، البيان ١/ ٨١.

(٣) البخلاء ٨٤.

(٤) البخلاء ٢٢.

قال أحد المراوزة البخلاء لصديقه العراقى الذى زاره فى مدينة مرو، وكان هذا المروزى قد أظهر الغباء والجهل التَّامَّيْن، كى لا يعرف صديقه العراقى مخافةَ أن يدعوه للغداء.

وقال محدثًا عن الكِنْدىِّ أحد بخلائه، وكان هذا صاحبَ دور للسَّكَن إذ يقول له: وإذا كثر الدخولُ والخروجُ والفتحُ والإغلاق والإقفالُ وجَذْبُ الأقفال تَهَشَّمَت الأبوابُ وتفلَّقَت الرَّزَّاتُ، وإذا كثر الصبيانُ وتضاعفَ البوش نزعت مساميرُ الأبواب»[1].

والرزَّة من ألفاظ المعجم فى حين أن «البوش» من الألفاظ العامية التى لا تشيرُ إليها المعجمات.

ولابُدَّ من الإشارة إلى المصطلحات العاميَّة التى أشار إليها الجاحظُ فى حديثه عن البخل: «قال أبو فاتك» الفتى لا يكون نشالاً ولانشّافًا ولا مرسلاً، ولا لكّامًا ولامصباحًا ولا نفاضًا ولا دَلاّكًا ولا مُقَوِّرًا ولا مُغَرْبِلاً ولا مسوغًا ولا ملغمًا ولا مخضرًا فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمدّاد والدفاع والمحوّل»[2]. وهذه الألفاظ مما حملها العَوَامُّ معانىَ لا تُشير إليها المعجمات وكتبُ اللغة.

ويشرح الجاحظُ مفسِّرًا المخطرانى فيقول: «إنه الشخص الذى يفتح فاه كما يصنعُ من يتثاءبُ فلا تَرَى له لسانًا البتة»[3].

وهكذا نستطيعُ أن نَتَبَيَّنَ فى كتب الجاحظ مادةً غزيرةً فى الثقافة العامية وأنها خيرُ مصدرٍ لمعرفة البحثِ اللُّغوىِّ التاريخىِّ.

---

(١) المصدر السابق ٨٢.

(٢) المصدر السابق ٦٧.

(٣) المصدر السابق ٥١.